سلسلة مؤلفات ورسائل الشيخ علي بن خضير الخضير (٢)

شرح القواعد الأربع

لفضيلة الشيخ

علي بن خضير الخضير

فك الله أسره

الطبعة الأولى

١٤٣٦هـ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين نبينا محمد و على آله و صحبه وأجمعين.

فهذا شرح القواعد الأربع تأليف العلامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.

القواعد الأربع

بسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَسْأَلُ اللهَ الْكَرِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ. فَإِنَّ هَؤُلاءِ الثَّلاثُ عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

الشرح :

المقدمة: «القواعد الأربع»:

فيما يظهر لي أن الرسالة أُلفت في أول هذه الدعوة السلفية في الزمن الذي أُلف فيه كتاب كشف الشبهات، و ذلك لما بين الكتابين من التشابه، و هو أيضًا في نفس موضوع كتاب كشف الشبهات، إذ هي ردود و توضيح لما أثير حول هذه الدعوة من شبهات و شكوك و اختصت هذه الرسالة **«القواعد الأربع»** بتوضيح معنى الشرك و تحديد ماهيته، و مما يدل على أن المصنف أراد توضيح معنى الشرك في هذه الرسالة قوله: **«عرفت أن أهم ما عليك معرفة ذلك لعل الله يخلصك من هذه الشبكة و هي الشرك بالله»** و وضع المؤلف هذه القواعد الأربع لتسهيل فهم و معرفة الشرك.

مسألة: «**عنوان الرسالة**»

قواعد: جمع قاعدة، و هي في اللغة أساس البناء و أصل الشيء، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة:١٢٧].

اصطلاحًا: قضية كلية أو حكم كلي مبني على جزيئات.

مسألة: «**بسم الله الرحمن الرحيم**»:

ما يتعلق بالبسملة سبق أن تكلمنا عليه في أول شرح كتاب التوحيد.

مسألة: قوله: «**أسأل الله الكريم. . . . إلى قوله: عنوان السعادة**»، «**عنوان السعادة**»:

هذا المقطع مقدمة دعائية، استهل المصنف هذا المقطع بالدعاء للسامع و القارئ و دعا له بثلاثة أمور:

١- أن يتولاك في الدنيا و الآخرة، فدعا له بالتولي العام.
٢- دعا له بالمباركة «**و أن يجعلك مباركًا أينما كنت**».
٣- دعا له أن يكون من السعداء، و بين له أسباب السعادة و هي:
أ- الشكر
ب- الصبر
ج- الاستغفار

مسألة: استهل الدعاء بالتوسل إلى الله سبحانه بأسمائه و هذا من السنة أن يتوسل بأسماء الله و صفاته في الدعاء، توسل باسمين من أسماء الله:

١- الكريم.

٢- الرب[١].

قوله: «**يتولاك**» :الكاف للخطاب و الرسالة هنا هل هي موجهة لشخص معين أم أنها عامة؟ الأقرب أنها عامة، لأن المصنف أراد التعليم العام.

قوله: «**أن يجعلك مباركًا أينما كنت**»: «**المبارك**» هو من جعل الله فيه أسباب البركة، فالعالم مبارك، لأنه يعلم و يدعو إلى الله، و هذه بركات كما جاء عند البخاري من حديث أسيد بن الحضير: «**ليست هذه بأول بركاتكم يا آل أبي بكر**» و التاجر الصالح مبارك لأنه يبذل المال في طاعة الله، و هذه بركة، و الأب الذي يسعى في إصلاح أولاده مبارك.

لكن هل هذه البركة ذاتية أم سببية؟ هذه البركة سببية، لأنه ليس هناك أحدًا مباركًا بركة ذاتية إلا الرسول ﷺ، فإن الصحابة ﷺ يتبركون بأبعاضه، مثل: أظفره أو ثيابه.

«**أينما كنت**»: باعتبار المكان.

---

(١) و من التوسل المشروع: التوسل بالعمل الصالح كما في حديث الثلاثة الذين طبقت عليهم الصخرة فدعا أحدهم ببره بوالديه و دعا أحدهم بعفته عن الزنا و دعا ثالثهم بحفظه مال الآخرين و هو في الصحيحين، و من التوسل المشروع: التوسل بدعاء الرجل الصالح كأن تذهب إلى رجل صالح فتقول: ادع الله لي أن يوفقني أو يرحمني أو نحو ذلك كما جاء عن عمر أنه قال: « اللّهم إنا كنا نتوسل إليك بعم نبينا و إنا نتوسل إليك بعم نبينا فدعا العباس الله أن يغيث المسلمين فأغاثهم. . . ».

قوله : «و أن يجعلك ممن إذا أعطي شكر»: أعطي: مبني للمجهول، و الله هو المعطي حقيقة، و الخلق يعطون لكن إذا أراد الله، إذاً عطاؤهم ناقص تابع لمشيئته ﷻ، و الدليل على أنهم يعطون قوله عليه الصلاة و السلام: **«من صنع إليكم معروفًا فكافئوه. .»** رواه أبو داوود بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أما أسباب السعادة التي ذكرها المصنف، فمنها الشكر عند العطاء، و تعريف الشكر لغةً: قال في الصحاح: الثناء، و اصطلاحًا: يطلق على الثناء و العمل، و أما الثناء فمتعلق باللسان فينسبها إلى الله خلقًا أولاً ثم يذكر السبب إن كان صحيحًا، أما العمل فيتعلق بالقلب: و هو التصديق و الإقرار أنها من عند الله، و أيضًا العمل يتعلق بالجوارح: و هي العمل بطاعة الله، قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣].

مسألة: عرفنا أنه يشكر الله، فهل يشكر السبب؟

أما إن كان السبب حقيقيًا فإنه يُشكر، لكن بعد **«ثم»** فإذا سَلِم من المرض، قال: هذا بفضل الله ثم بمهارة الطبيب، و إذا سَلِم من حادث، قال: هذا من فضل الله ثم حذاقة السائق، و إذا صار غنيًا قال: هذا بفضل الله ثم بجدي و كسبي.

فإذا ترك القول بفضل الله و نسبها إلى السبب الحقيقي فهذا شرك أصغر، لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا﴾ [البقرة:٢٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما : **«و هي قول الرجل لولا البط أو لولا الكلب لأتانا اللصوص، كل هذا شرك»** رواه ابن حاتم بسند حسن.

فمسألة السلامة من اللصوص نسبت إلى وجود البط، و لم يقل لولا فضل الله ثم البط، و هذا يحدث عند العوام كثيرًا فلينتبه له[١].

و إذا لم يكن السبب حقيقيًا فمجرد نسبتها إليه من الشرك، فإما أن يكون شركًا أصغر كما لو قال في مجيء رجل بسبب مجيء فلان نزل المطر أو الأمير أو الملك فمجيء الشخص ليس سببًا في نزول المطر، و يكون شركًا أكبر إذا نسب شيئًا إلى بركة فلان مثل ببركات الولي فلان رزقت ولدًا.

قوله: «**و إذا أُبتلي صبر**» أُبتلي مبني للمجهول و الفاعل هو الله تعالى، فالله هو خالق كل شيء فهي من الله خلقًا و إيجادًا و مشيئة، و من العبد كسبًا، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَـٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [آل عمران:١٦٦]، وقوله: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥]، إلا أن الشرور و البلايا لا تنسب إلى الله في معرض الثناء و المدح و في مقام الشكر لما جاء في الحديث مرفوعًا: «**و الشر ليس إليك**».

الصبر لغةً: الحبس.

اصطلاحًا: حبس اللسان عن التشكي و الجوارح عن لطم الخدود و نحوه و النفس عن الجزع، حكمه: واجب، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، قال علقمة: «**هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى و يسلّم**»، و قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، و قوله:

---

(١) و قيل يجوز أن يقول لولا البط لسرقنا اللصوص لأنه له تأثير ذكره الشيخ سليمان.

﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [الطور:٤٨]، و محل الصبر عند الصدمة الأولى في أول المصيبة، قال عليه الصلاة و السلام: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**» كما في الصحيح، و الاستمرار في الصبر حتى انتهاء المصيبة واجب، و ذلك حتى يستغرق الصبر زمن المصيبة.

- **و هل يجب الصبر بعد ما ينتهي البلاء؟**

لو كان هناك جزعًا مرة أخرى فالصبر واجب.

قوله : «**و إذا أذنب استغفر**»: الذنب يشمل جميع الذنوب حتى المكفرات «**استغفر**» فيه طلب المغفرة، فتطلب من الله أن يستر ذنبك و يتجاوز عنه في الآخرة، لأن المغفرة هي الستر و التجاوز، «**فإن هذه الثلاثة عنوان السعادة**» الألف و اللام للعهد الذكري.

المقطع الثاني:

اعْلَمْ أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ: أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ مِلَّةُ إِبْرَاهِيمَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ، وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ) [الذاريات: ٥٦].

الشرح :

عنوانه: بيان معنى التوحيد و تفسير ملة إبراهيم،

«اعلم» يؤتى بها للاهتمام بما بعدها، **«أرشدك الله»** هذا دعاء من المصنف مرة أخرى يدل على حب المصنف و رحمته لهذه الأمة، **«و اعلم»** مرَّ تعريف العلم في كشف الشبهات.

قوله : «**إن الحنيفية**» : قال ابن الأثير في النهاية: الحنيف: المائل، و أصل الحنف الميل، فيقال رجل أحنف إذا كانت قدمه بائنًا، اصطلاحًا: الميل عن الشرك إلى التوحيد، الألف و اللام في الشرك للعموم، أي تميل عن الشرك صغيره و كبيره،

قوله : «**ملة إبراهيم**»: الملة: مأخوذة من المل، و هو التكرار و المعاودة ذكره العسكري في الفروق اللغوية، و لذا يقال طريق ملي إذا تكرر سلوكه، و منه الملل، و هو تكرار الشئ على النفس، و اصطلاحًا: هو ما يتكرر فعله مما شرعه الله من العقائد و الأحكام، وأضيفت إلى إبراهيم بتقدير اللام أي: ملة لإبراهيم، لأنه

مختص بها و ملازم لها، ثم فسر ملة إبراهيم فقال: أن تعبد الله وحده مخلصًا له الدين بمعنى إفراد العبادة لله تعالى وحده.

كلمة (إفراد) تتضمن شيئين:

١ - إتيان العبادة لله.

٢ - نفيها عما سواه.

فمن عبد الله لا يسمى حنيفًا حتى لا يعبد إلا الله فيجمع بين عبادة الله و عدم عبادة غيره، و عكس ملة إبراهيم: أن تجعل لله شريكًا في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه أو صفاته وهي ملة الشيطان ثم ذكر الدليل ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات:٥٦]، اللام في **«ليعبدون»** للتعليل أي ما خلقهم إلا لعلة واحدة و هي العبادة له وحده جل و علا و عز، و معني يعبدون: يتذللون و يخضعون للأوامر الشرعية، و عند أهل البدع: يتذللون و يخضعون للأوامر القدرية، و هذا خطأ كبير فكل شئ خاضع لله و أمره القدري، فالكافر عبد باعتبار خضوعه لأوامر الله القدرية، فموته و حياته متى شاء الله و هذا لا يكفي من الكافر بل لا بد من الخضوع و التذلل للأوامر الشرعية و سبق أن فسر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الأصول الثلاثة يعبدون بمعنى يوحدون، و هذا تفسير الشئ ببعض أفراده، و هذا المقطع السابق **«الحنيفية ملة إبراهيم»** هو نفس النص الموجود في الأصول.

المقطع الثالث:

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعِبَادَةَ لا تُسَمَّى عِبَادَةً إِلا مَعَ التَّوْحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاةَ لا تُسَمَّى صَلاةً إِلا مَعَ الطَّهَارَةِ.

الشرح:

و هو عنوانه: بيان أهمية التوحيد و مكانته بالنسبة للعبادة، ثم وضح المصنف مكانة التوحيد بالنسبة للعبادة، فهي شرط الصحة، فلا تصح العبادة بدون التوحيد، و لذا مثّله بالطهارة بالنسبة للصلاة، فالطهارة شرط لصحة الصلاة، كما في الصحيح: **«لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»**، أما الدليل على أن التوحيد شرط للعبادة قوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزُّمَر:٦٥]، و قوله: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان:٢٣]، و من السنة: حديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيح: **«من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته و شركه»** و قوله: **«إن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا»**.

المقطع الرابع :

فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي الْعِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالْحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ، فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ الْعِبَادَةَ أَفْسَدَهَا، وَأَحْبَطَ الْعَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ، مِنَ الْخَالِدِينَ فِي النَّارِ.

عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ.

الشرح :

هذا هو المقطع الرابع و عنوانه: أثر مخالطة الشرك في العبادة، و أثره هو فساد العبادة، لذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**فإذا دخل الشرك في العبادة فسدت**» و الفساد و البطلان بمعنى واحد كما هو مشهور و معنى الفساد: ما لا يسقط به الطلب و لا تبرأ به الذمة و لا يترتب عليه آثاره.

«**فسدت**» أي باعتبار العمل فإنه يفسد، أما باعتبار العامل فإنه يكفر إذا خلط الشرك بعبادة، و لذا قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «**و صار صاحبه من المخلدين**» فالعامل يكون مشركًا مخلدًا في النار، و على ذلك.

فقوله: «**إذا دخل الشرك العبادة**»: فالألف و اللام ليست للعموم، و يُقصد به الشرك الأكبر، لأنه لا يخلد إلا من أتى بالشرك الأكبر، و أما من أتى بالشرك الصغر فصاحبه ليس من الخالدين.

«**عبادة**» يُقصد بها العبادة التي يبتدئها لله ثم يطرأ عليها الشرك و هذا في باب الرياء و باب العمل الصالح لأجل الدنيا، وهناك قسم من الشرك يفسد العبادة بدون دخول عليها، **فأصبح الشرك الأكبر باعتبار فساد العبادة قسمين:**

١ - **قسم يدخل في العبادة، مثال:** صلى الظهر مخلصًا ثم في أثناء العمل راءى رياءً يخرج من الملة، فهذه العبادة تفسد فإذا خرج وقتها لم يعدها صحيحة فإنه يكفر، لأن حكمه حكم من ترك الصلاة عمدًا فهو كمن لا يصلي، و من ترك صلاة واحدة متعمدًا كفر إذا خرج وقتها كما هو مذهب الحنابلة و أهل الحديث، **و مثله:** لو ابتدأ العمل لوجه الله و في أثناء العمل قصد الدنيا فصلى لأجل الدنيا فإن العبادة تفسد و يعتبر كمن لم يصل،

مثال آخر: كمن عنده خمس من بهيمة الأنعام فذبح بعضها لله و بعضها لغير الله فهذه العبادة ابتدأها لله و أدخل الذبح لغير الله فيها ففسدت.

٢ - **الشرك الذي لا يدخل في العبادة** لكن يُفسدها بمعنى ينقصها، وهذا كمن عمل أعمالاً صالحة و عبادات كثيرة ثم أشرك بعد هذه العبادات فإن شركه الحادث ينقص ما سبق من العبادات، وهذا القسم فيه شرط، وهو أن يموت على الشرك أما لو أشرك ثم عاد إلى التوحيد فإن العبادات التي قبل الشرك لا تحبط لأن الصحيح أن العبادات لا تحبط غلا بالموت على الشرك لقوله تعالى: ﴿فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ فمفهوم الآية أن من لم يمت على الكفر لا يحبط عمله و لذلك لو كان حج قبل الردة فلا يعيد حجه لو عاد إلى الإسلام.

مسألة: هناك من الأشياء ما يخالط العبادة و لا يفسدها و لا يكون صاحبه من المخلدين، لكنه ينقص الكمال فله أثر على الكمال، كمن عمل الصالح يريد وجه الله و يريد شيئاً من الدنيا، كمن جاهد لإعلاء كلمة الله و يريد المغنم، و حج يريد فضل الحج و يريد التكسب، هذا جائز في الأصل بشرط أن يكون الغالب على عمله إرادة رحمة الله و إرادته للدنيا أقل، فإذا كان الغالب إرادة الدنيا فهذا من الشرك، و إن كان إرادة الدنيا و إرادة وجه الله متساويين، فهنا أيضًا من الشرك، أما الدليل على أنه إذا كان يريد وجه الله غالبًا أنه جائز قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨].

وجه الدلالة: نفي الجناح عمن تكسب في الحج، و عند مسلم قوله ﷺ: **«في المجاهد يأخذ المغنم قال تعجلوا ثلثي أجرهم»**.

وجه الدلالة: أنه أثبت لهم أجرًا فأعطاهم بعضه و بقي بعض.

مسألة: هناك ما يدخل في العبادة فيفسدها، لكن لا يكون صاحبه من المخلدين، و هذا هو الشرك الأصغر، كمن راءى في النوافل و نحو ذلك، و هو الشرك بالله الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨].

المقطع الخامس:

وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: (إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ) [النساء: ١١٦].

وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

الشرح:

الشرك يختلف بكونه أكبر أو أصغر.

فتعريف «الشرك الأكبر»: هو أن تجعل لله ندًا في ربوبيته أو ألوهيته أو أسمائه أو صفاته، و هذا تعريف الشرك الأكبر بشكل عام، أما المعنى الخاص (فالشرك بالربوبية): أن تجعل لله ندًا في الخلق و الملك و التدبير و نحو ذلك، و(الخاص في شرك الألوهية): هو أن تجعل لله ندًا في العبادة، و (الخاص في الأسماء والصفات): أن تجعل لله ندًا في أسمائه و صفاته التي يستحقها.

أما تعريف «الشرك الأصغر» فيه خلاف بين أهل العلم في تعريفه:

١ - عرفه الجمهور بأنه ما جاء في النصوص تسميته شركًا و لم يبلغ حد العبادة **مثاله:** قول: **«ما شاء الله و شئت»** فإنه جاء في الحديث تسميته شركًا، و لفظ الحديث قال أجعلتني لله ندًا، ومنه الحلف بغير الله إذا كان لا يعتقد في المحلوف به أنه مثل الله، فقد جاء تسميته شركًا حديث عمر: **«من حلف بغير الله فقد أشرك»**، ومنه قول: **«لولا الله و فلان»** إذا قاله في مقام الثناء، فقد صح عن ابن

عباس تسميته شركًا، و على هذا التعريف فقراءة القرآن عند القبور هي من البدع، و ليست من الشرك لأنه ليس في النصوص ما يدل على تسميته شركًا.

٢- **الشرك الأصغر:** هو كل وسيلة قولية أو فعلية توصل إلى الشرك الأكبر و لم تبلغ حد العبادة، و هذا التعريف أوسع و أشمل من الذي قبله، لأنه جعل جميع وسائل الشرك الأكبر من الشرك الأصغر، وجعل حكم الوسائل من الشرك، ولم يشترط في تسميته في النصوص شركًا، و هو تعريف السعدي في كتاب القول السديد، و أيضًا يؤيده أن الوسائل قد تسمى تسمية الأصل لحديث: **«العينان تزنيان و زناهما النظر»** فسمى النظر زنا و هو وسيلة إلى الزنا، و الذي تميل إليه النفس القول الثاني، لكن ليس على إطلاقه بمعنى أننا نسمي وسائل الشرك الأكبر شركًا أصغر، لكن حكمه في الآخرة يختلف عن ما جاء تسميته في النصوص شركًا.

مثاله: أننا نقول: «من قرأ القرآن عند القبور و كذا من عبد الله عند القبور فكلاهما من الشرك الأصغر و كلاهما ناقص الإيمان، لكنه في الآخرة لم يأت كمن جاء تسميته في النصوص شركًا و لم يبلغ حد العبادة، فهو تحت المشيئة بخلاف ما جاء تسميته شركًا من الأصغر، وهذه من مات عليها فإنه يعذب و لا يدخل تحت المشيئة و هي مثل: «الحلف بغير الله و قول ما شاء الله و شئت»، واستدل المصنف بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء:٤٨] و الأمر الذي لا يغفره الله خطير يجب معرفته و الابتعاد عنه.

قوله : «و ذلك بمعرفة أربع قواعد»: أي معرفة الشرك تتم إذا عرفت هذه القواعد الأربع فهي تساعد على فهم الشرك و بعضها موجود في بعض كتب الشيخ.

القاعدة الأولى:

أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الْكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ – تَعَالَى –هُوَ الْخَالِقُ، الْمُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلَهُمْ فِي الإِسْلامِ؛ وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيَّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ) [يونس: ٣١].

الشرح:

عنوانها: «أن الإقرار بالربوبية فقط لا يكفي في إبعاد صفة الشرك».

و هذه القاعدة تعتبر من أهم القواعد الأربع، ومثلها القاعدة الثانية: «**أن تعلم أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله أنهم يقرون بأن الله هو الخالق المدبر**».

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن تعرف أن الكفار ثم وصفهم الذين قاتلهم عليه الصلاة و السلام. . لاحظ دقة المؤلف رحمه الله في العبارة، حيث لم يقل إنهم موحدون، لأنهم لا يمكن تسميتهم موحدين مع تخلف توحيد الألوهية، و لم يقل: إن توحيدهم صحيح، فلا يصح مع تخلف توحيد الألوهية.

قوله: «الكفار»: الألف و اللام هل هي للعموم؟ يعني هل كل الكفار في عهده عليه الصلاة و السلام مقرين بتوحيد الربوبية؟

ليس على إطلاقه، فإن هذا في الجملة لا بالجملة، و يدل أن من الكفار من يشرك في توحيد الربوبية، كما في حديث زيد بن خالد قال: **«أما من قال مطرنا بنوء كذا و كذا. . .»**[1] الصحيحين.

فكانوا يعتقدون في النجوم أنها تنزل المطر، و أشار إلى هذه المسألة ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في درء تعارض العقل و النقل ص ٣٤٧ ج ٩ قال: **«و المقصود أن كثيرًا من أهل الشرك و الضلال قد يضيف بعض الممكنات أو حدوث بعض الحوادث لغير الله تعالى»** أ. هـ.

و قال المقريزي في كتابه (تجريد التوحيد) :على أن من المشركين من أشرك في الربوبية كما يأتي. . . أ. هـ.

و لكن الغالب أن الكفار يؤمنون بالربوبية و يوجد بعض الأشخاص ينكرون ذلك ثم ذكر المؤلف الدليل على أن المشركين الذين قاتلهم الرسول ﷺ مقرون بالربوبية قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم ...﴾الآية.

و اكتفى بدليل واحد، وقد وافق المؤلف جمع من المفسرين، قال ابن جرير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾

---

(١) و من الآيات الدالة على إقرارهم بالتوحيد قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾، وقوله: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾، و قوله: ﴿ قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ۝ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ۝ قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾.